المظاهر السياسية والحياة الاجتماعية
في تل أبيب مرسيم

إعداد

د / خالد محمد شوقي
مدرس مساعد بقسم الآثار
كلية الآداب- جامعة أسيوط

مقدمة

كانت لتل بيت مرسيم علاقات منذ أقدم العصور بالأقطار الأسيوية بوجه عام ، وكذلك بجزر البحر المتوسط ، فقد عثر فيها علي آثار مصرية وعراقية واخري ترجع الي اليونان وقبرص ، وقد كثرت الآثار المصرية في هذه المدينة من لوحات وتماثيل وأوان ، ولا زال متحف القدس ومتحف جامعة هخيت بحيفا ومتحف كلسو ببيترسبرغ يحتفظ بنماذج كثيرة من الآثار المصرية عثر عليها في باطن أرض تل بيت مرسيم ، كما اشارت المصادر الآثرية ان بعض المعبودات المصرية تم تحوير اسماءها وعُبدت فيها باسماء كنعانية ، كما وجد بالمثل بعض التأثيرات الأسيوية في رسوم الأواني الفخارية منذ أقدم العصور في مصر ، وكذا في الأختام الأسطوانية وبعض الأواني الحجرية والمعدنية ، غير أن الحضارات الأسيوية " السومرية- الأكدية- البابلية- الآشورية- الحيثية – الحورية- الفينيقية – الآرامية وغيرها " لم تستطع أن تمحي الشخصية الكنعانية ، وظلت الحضارة االكنعانية طوال العصور البرونزية والحديدية لها طابعها المحلي المميز حتي ولو كان تقليد للحضارة المصرية والعراقية فهو تقليد بلمسة كنعانية محلية .

وقد أرجع العديد من الباحثين علاقات مصر بأرض كنعان إلى عصور ما قبل التاريخ [١] ، بل أرجعها البعض إلى العصر الحجري القديم أي منذ ٥٠٠٠٠ سنة قبل الميلاد[٢] ، مستنداً على ما تم العثور عليه من نقوش وآثار مصرية [٣] .

اولا النظام السياسي في تل بيت مرسيم :

من خلال دراسة تاريخ مدينة تل بيت مرسيم فان المدينة قد تنوعت فيها انظمة الحكم بين النظام القبلي والملكي مرورا بفترات الخضوع للسيطرة المصرية والبابلية ويمكن تقسيم الحياة السياسية في المدينة كالاتي :

أ- نظام الحكم في العصور البرونزية :

- نظام الحكم في العصر البرونزي المبكر :

كما سبق ذكره فان المدينة نشأت في حوالي منتصف الالف الثالث ، وفي هذا الوقت نشأ مجتمع كان له دوافع اقتصادية ، نتج عنها تكوين مؤسسة ، تعرف الان "بالدولة" بمؤسساتها المختلفة ، وقد كان من شأنها ان ميزت النظام السياسي في بلاد الشام ، وقد سمي هذا النظام بنظام "المدينة الدولة" او دويلات المدن ، علي اعتبار ان كل مدينة تكون دولة مستقلة استقلالا ذاتيا ، يتيح لها ان تتصرف بشؤونها علي اسس تمليها عليها ظروفها البيئية والسياسية ، وهو النظام الذي استمر في جنوبي بلاد الشام خلال العصور البرونزية .[٤] وعدم تأسيس دولة قوية موحدة في كنعان كان نتيجة لطبيعة اراضي كنعان وموقعها الاستيراتجي بين مراكز الدول الكبري.[٥]

حكام المدينة في العصر البرونزي المبكر :

العناقيون :

وهم احد القبائل الكنعانية التي وفدت الي فلسطين ، وكانت منازلهم تمتد من جنوبي الخليل الي القدس ، ونزل بعضهم الساحل فاقاموا في غزة وجت وينسب اليهم بناء عدد من المدن وهي اسدود ، تل بيت مرسيم ، الخليل ، وعناب .

ويذكر من العناقيين "اربع" الذي يعتبر اعظم رجل ظهر في قومه ، وهو باني ومؤسس مدينة الخليل التي كانت تدعي يومئذ باسم مدينة اربع .

وعن العناقيين فاشتهروا بطول قامتهم وكثرتهم وبأسهم في الحروب ، حتي انهم ارعبوا جواسيس اليهود الذين ارسلهم موسي عليه السلام الي فلسطين لمعرفة احوالها وكيفية القرب منها والدخول اليها ، وبعد دخول بني اسرائيل بقيادة يشوع الي فلسطين قامت حروب دامية بين بني اسرائيل والعناقيين وبعد معارك دامية انتصروا عليهم وابادوهم والناجون منهم التحقوا بابناء عمهم في غزة ، جت ، اسدود ، عكرون ، وعسقلان (انظر الفصل الثالث ص ٩-١٠) .[٦]

وربما نتصور ان النظام السياسي خلال هذه الفترة كان نظام قبلي علي رأسه شيخ القبيلة (الملك) ويعاونه مجلس من كبار رجال المدينة كما هو الحال في بداية استقرار اسباط بني اسرائيل في فلسطين (انظر ص ٨) .

- نظام الحكم في العصر البرونزي المتوسط :

من الجدير بالذكر هنا انه رغم عدم وجـود مصـادر كتابيـة توضـح الصـفة السياسـية لهـذه المـدن وتبين اسماء حكامها وعلاقاتها السياسية الداخليـة والخارجيـة الا انـه يسـتنتج ان هنـاك جهـة لهـا سلطة قوية اشرفت علي تخطيط وتنفيذ العديد من المنشآت العامـة مثـل المعابـد والاسـوار ، وخاصـة ان هذه المنشآت تخدم المصلحة العامة ، ويستدل من وجود الاسوار علـي وجـود اخطـار كانـت تهـدد امن ومصالح هذه المدن ، وربما كانت هذه الاخطـار ناتجـه عـن حـروب هـذه المـدن مـع بعضـها البعض [٧] ، وبذلك تبقي المعلومات عن الاوضـاع السياسـية خـلال العصـر البرونـزي المتوسـط الاول (٢٠٠٠-١٨٠٠ق.م) قليلة ولا توضح كافـة النـواحي السياسـية مثـل عـدد المـدن وطبيعـة النظـام الحاكم ومؤسساته في هذه المدن ، وكذلك العلاقات السياسية لهـذه المـدن مـع بعضـها الـبعض ومـع العالم الخارجي .[٨]

ولم يتغير النظام السياسي خلال العصر البرونـزي المتوسـط الثـاني "فتـرة حكـم الهكسـوس لسـوريا وجنوبي بلاد الشام " ، الا انه لا يستبعد ان تكون المنطقة قـد تبعـت قيـادة مركزيـة واحـدة ، اسـتنادا علي وجود نظام من التحصينات الدفاعية وهـو التحصـينات الترابيـة الماثلـة التـي يتخللهـا بوابـات ضخمة ، والتي عثر عليها في العديد من مواقع جنوبي بلاد الشام مثل تـل القاضـي وتـل القـدح وتـل كيسان وتل بلاطة وتل بيت مرسيم وغيرهـا ، وكـذلك عثـر عليـه فـي بعـض مـدن سـوريا مثـل كركميش ورأس شمرا وغيرها وفي مصر في تل الضبعة وتل اليهودية وتل المسخوطة .

ومن وجود هذه التحصينات يستخلص الاتي :

- استمرار نظام ممالك المدن المستقلة في جنوبي بلاد الشام .
- هناك حكام قاموا بالاشراف علي تنفيـذ هـذه التحصـينات حرصـا علـي سـلامة هـذه المـدن مـن الاخطار التي تهددها .
- مدن جنوبي بلاد الشام بلغت خلال هذه الفترة اوج ازدهارها .

ويري اناتي Anati ان هذا الاستقرار لا يـأتي الا مـن خـلال غيـاب النزاعـات الداخليـة بـين المـدن الكنعانية ، وهو دليل واضح علي توافق مصالح فئات المجتمـع الكنعـاني بمختلـف اعراقـه ولهجاتـه ، وهو الامر الذي نجح الهكسوس في تحقيقه .[٩]

واخيرا يدل وجود هذه التحصينات في فترة زمنية واحدة وفي مختلـف منـاطق الشـرق الادنـي القـديم علي وجود فكر عسكري موحد ، وقد يكون هذا ناتجا عن وجـود قيـادة مركزيـة واحـدة لحكـام هـذه المدن ، وربما كان مقرهـا فـي " افـاريس " عاصـمة الهكسـوس ، وبـذلك لا يكـون لحكـام المـدن

الكنعانية خلال هذه الفترة صفة الملوك او الامـراء ، وانمـا مجـرد طبقـة مـن النـبلاء اوكلـت الـيهم القيادة المركزية مهمة ادارة مختلف شئون الحياة داخـل المـدن الكنعانيـة ،-وكـان لهـذه الطبقـة دون غيرهم من سكان المدينة امتيازات مثل حق امتلاك الاقطاعات والعربات التي تجرها الخيول . [١٠]

ولا توجد مصادر كتابية توضح طبيعة التقسيمات التـي اتبعهـا الهكسـوس فـي تنظـيم وادارة جنـوبي بلاد الشام وكذلك طبيعة النظام الحاكم ومؤسسـاته فـي كـل مدينـة غيـر ان الشـواهدالاثرية كالاختـام الجعرانية الهكسوسية التي عثر عليها في تل المتسلم وتل العجول وتل الـدوير وتـل ابـو شوشـة وتـل الفارعة الجنوبي واريحا تشير الي ان هذه المـدن كانـت اهـم مراكـز الهكسـوس فـي جنـوبي بـلاد الشام . [١١]

- نظام الحكم في العصر البرونزي المتأخر (القرن١٦-١٣ق.م) :

وفقا لاناتي Anati[١٢] فان الفترة التي تلت حكم الهكسـوس لجنـوب بـلاد الشـام تتميـز بوجـود نفـس النظام السياسي (ممالك المدن) الا ان المقاطعـة اصـبحت مصـرية حيـث السـيطرة المصـرية التامـة عليها ، ويري معاوية ابراهيم[١٣] ان في هذه الفترة اتبعت مصر فـي ادارتهـا لـبلاد الشـام نظـام شـبيه بحكومة المستعمرات "حكومات الخارج" من خلال وجود عـدد مـن الحكـام المصـريين فـي مـدن لهـا مكانة استراتيجية مثل غزة وغيرها ، وزودت هـذهالمراكز الاداريـة بحاميـات عسـكرية اقامـت داخـل العديد من الحصون بهدف مواجهة اي تمرد او ثورة تنشأ ضد السلطة المصرية .

وقد تم تقسيم بلاد الشـام وفقـا لقـوائم تحـتمس الثالـث ورسـائل تـل العمارنـة الـي ٣ مقاطعـات رئيسية[١٤]، يهمنا منها المقاطعة الاولي التـي تشـمل منطقـة جنـوبي بـلاد الشـام ممثلـة فـي غـزة عاصمة الوجود المصري في المنطقة ، ولم تكتف السلطة المصـرية بوضـع حـاكم مقـيم فـي غـزة ، وانما عملت علي تقويـة سـلطته عـن طريـق وضـع عـدد مـن الحاميـات العسـكرية فـي مواقـع استراتيجية من مدن جنوب بلاد الشام مثل بيسان وتـل الفارعـة الجنـوبي والقـدس وتـل المتسـلم[١٥] ، ويري الباحث هنا ان كل حامية من هـذه الحاميـات كانـت يتبعهـا بعـض المـدن الفرعيـة الاخـري ، وعلي سبيل المثال فحامية القدس كان يتبعها مدينة تل بيت مرسـيم التـي يـذكر والـي بيـت المقـدس "عبدي خيبا " في فترة الملك اخناتون انه تم تدميرها علي يد الثوار هي واريحا .[١٦]

وتدار كل حامية بواسطة ضابط مصري له عدد من المهام وهي :

- تنفيذ اوامر الفرعون المصري التي تصله عبر الحاكم الموجود في غزة .
- مراقبة الاوضاع في المنطقة الخاضعة تحت سيطرته .
- حماية المصالح المصرية من الاخطار الخارجيـة "المتمثلـة فـي الحيثيـون والميتـانيون " ، ومـن الاخطار الداخلية المتمثلة فـي بعـض الجماعـات الخارجـة علـي السـلطة المصـرية مثـل العـابيرو والشاسو ، بالاضافة الي قمع اي محاولة للتمرد ضد السلطة المصرية .
- متابعة ارسال الجزية المترتبة علي المدن الكنعانية الي مصر .
- حماية القوافل التجارية المصرية التي تمر عبر كنعان الي سوريا وبلاد النهرين . [١٧]

وعن النظام السياسي للمدن الكنعانية نفسها فكان الامير الذي اعطي لقب ملـك فـي بعـض رسـائل تـل العمارنة " ملك تل القدح وملك تل عشترة ..." يشكل اعلي سـلطة سياسـية فيهـا ومـن اسـماء بعـض امراء المدن الكنعانية وفقا لرسائل تـل العمارنـة عبـدوخيبا حـاكم القـدس ومليكيلـو حـاكم تـل ابـو شوشة [١٨] ، وغالبا ما يكون هذا الامير من كبار طبقة التجار[١٩] .

ومن الجدير بالذكر انه يمكن القول ان امراء المدن الكنعانيـة خـلال العصـر البرونـزي المتـأخر كـانوا مجرد تابعين للسلطة المصرية ، وخاصة ان هؤلاء الامراء كانوا يرسـلون منـذ صـغرهم كرهـائن الـي مصر ليتم تنشئتهم وتربيتهم علي طاعة الفرعون المصري [٢٠] ثم يلـي الامير مـن حيـث الاهميـة فـي المدن الكنعانية طبقة النبلاء (المارينو) ، ويشكلون طبقـة الارسـتقراطية فـي المجتمـع الـذي يتشـابه في مختلف مدن جنوبي بلاد الشام ، ويتمتع هـؤلاء بحـق امـتلاك العربـات والاقطاعـات التـي تشـمل عددا من القري والبلدات الصغيرة التابعة للمدينة التـي يعيشـون فيهـا ، واما الطبقـة الاخيـرة فهـي عامة الشعب التي تكونت في الغالب من المزارعين . [٢١]

واخيرا يستنتج ان ممالك المدن الكنعانية خـلال العصـر البرونـزي المتـأخر لـم تحـظ بالحريـة التـي تمكنها من ممارسة حقوقها السياسية علي الصعيد الـداخلي او الخـارجي ، حيـث كـان محظـورا علـي امرائها اقامة علاقات سياسية مع بعضهم البعض كعقد اتفاقيـات او الـدخول فـي تحالفـات عسـكرية ، وربما السبب في هذا هو خشية المصـريين مـن ان يثـوروا ضـدهم وبالتـالي تتهـدد مصـالحهم فـي المنطقة ، لذلك عملت مصر علي احباط اي محاولة توحيد بينهم ، وابقـت المـدن الكنعانيـة فـي حالـة صراع دائم فيما بينها . [٢٢]

ومن الجدير بالذكر هنا توضيح قائمة بالملوك الوارد ذكرهم في مدينة تـل بيـت مرسـيم خـلال العصـر البرونزي المتأخر :

ب- نظام الحكم في العصور الحديدية :

- نظام الحكم في العصر الحديدي الاول [٢٣]:

بعد دخول بني اسرائيل الي فلسطين ظلوا يتبعون فـي بدايةاسـتقرارهم النظـام القبلـي والـذي يتكـون من الشيوخ(الزكاتيوم) وكان هذا النظام او الحكم لا يقـوم علـي اسـاس الدولـة ، بـل علـي اسـاس الحكم الابوي في الاسرة ، فكان شـيوخ العشـائر يجتمعـون فـي مجلـس مـن الكبـراء ، هـو الحكـم الفصل في شئون القبيلة ، وهو الذي يتعاون مـع القبائـل الاخـري ، اذا الجـائهم الـي هـذا التعـاون الظروف القاهرة ، التي لا مفر من التعاون فيها .

غير ان الحروب المتكررة ضد الفلسطينيين قد اضطرتهم الي ان يسندوا القيـادة مـن وقـت لاخـر الـي شخص واحد ، اشبه بالقائد الحربي او الزعيم الديني اطلق عليـه لقـب "القاضـي" حتـي عرفـت هـذه الفترة بعصر القضاة .

ومن الجدير بالذكر ان سلطة القضاة لم تكـن سياسـية ، اذ كـان القاضـي يتصـدر القـوم فـي اثنـاء الازمات ، وظل القضاة يحكمون العبرانيين طوال القـرن ونصـف القـرن التـاليين لـدخولهم فلسـطين ، وكانت سلطة هؤلاء القضاة عارضـة محـدودة المـدي والمـدة ، ولـم يكـن القضـاة قضـاة بـالمعني المفهوم ، ولم يكونـوا مشـرعيين بـالمعني القـديم ، وانمـا كـانوا طبقـة مـن الابطـال المحـاربين والمنقذين ، اقامهم الرب ليخلصوهم من يد ناهبيهم ، ولم يكونـوا خلفـاء لبعضـهم الـبعض ، بـل كـان يوجد اكثر من واحد في وقت واحد ، "ولم يكن في بنـي اسـرائيل ملـوك فـي تلـك الايـام ، حتـي اذا كانوا من الكهنة " ، وكان الواحد منهم يطلق عليـه احيانـا لقـب "ملـك" او "قاضـي" ، ذلـك لان لفـظ "قاضي" (شوفط) انما يستخدم في سفر "راعوث" بمعني وال او حـاكم ، بينمـا فـي اسـفار اخـري مثـل عاموس والتثنية [٢٤] يأتي بمعني ملك .

ويفهم من مقدمة سفر القضاة ان حكام المجتمع الاسرائيلي في تلـك الاعـوام كـانوا يسـمون " قضـاة " لان كلا منهم انما كان يصدر حكما علي الحاكم المسـتبد المـذل للمجتمـع الاسـرائيلي ، وذلـك بتحريـر هذا المجتمع منه ، وكان اول هؤلاء القضاة القاضي "عثنئيل بـن قنـاز" الـذي اخـذ تـل بيـت مرسـيم وخلص الاسرائليين من ذل ملك ارام النهرين وقضي لبني اسرائيل ٤٠عام .

الحياة الاجتماعية في تل بيت مرسيم :

من خلال دراسة المدينة من الناحية التاريخية والاثرية والحضارية فان الحياة الاجتماعية فيها لا تختلف فيها عن المدن الكنعانية الاخري مثل بئر السبع وبيت شمش وغيرها ويمكن دراسة الحياة الاجتماعية في المدينة كالاتي :

أ- طبقات المجتمع :

يري خير نمر ياسين[٢٥] انه لا تتوفر وثائق تزودنا بمعلومات كافية حول المجتمع الكنعاني وان كل ما هو متوفر يكون وثيقة متأخرة من عهد الملك امنحتب الثاني(١٤٤٣ق.م) تخبرنا بطبقات المجتمع الذي كان سائدا في هذا الوقت ، الا انه وفقا لابراهام مالمات وحييم تدمور[٢٦] فان الارشيفات الاثرية في "الألاخ"[٢٧] التي تعود الي القرن١٥،١٧ق.م وكذلك ارشيفات "اوجاريت"[٢٨] التي تعود الي القرن١٣،١٤ق.م تتيح دراسة منظومة الحياة الاجتماعية للمدينة السورية التي تتماثل جدا مع المملكة الكنعانية كما تأثرت بها ايضا نظم المدينة الملكية عند بني اسرائيل ووفقا لذلك فان طبقات المجتمع الكنعاني تنقسم الي :

١- الطبقة العليا : وتتألف من الحاكم وبجواره طبقة المارينو من اصحاب النفوذ وهم طبقة النبلاء من اصحاب العجلات الحربية التي تعتبر العمود الفقري للجيش .

٢- الطبقة الوسطي : وهي صاحبة املاك ثابته ايضا وضمت فلاحين واصحاب حرف وتجار يتمتع بعضهم بالاستقلالية ، ويعمل بعضهم في اطار اقتصاديات المملكة .

الا انه من الجدير بالذكر هنا انه قد اخذت طبقة ذوي النفوذ تفقد مكانتها علي مر العصور لصالح الطبقات الوسطي التي ارتقت في السلم الاجتماعي ، عبر الاحتياجات الخاصة للمؤسسة المالكة .

٣- الطبقة الاكثر تدنيا : وكانت لا تزال قطاع سكاني حر ، ولم يكن بحوزتهم اراضي وممتلكات ، وكانوا يجلبون من اوسطهم العبيد وعمال السخرة (ووفقا لحتي[٢٩] فان هذه الفئة من الفلاحين او المستأجرين المولودين احرار تسمي خابشي Khapshi وهي تقابل طبقة المشكينو[٣٠] في المجتمع البابلي) للعمل في المزارع الملكية وضياع الاشراف ، وكذلك عثر علي قوائم تفصيلية لاصحاب حرف من بينهم : جنود محترفين ، وعمال بناء ، صناع ، نحاتين ، دباغي جلود ، صناع خزف ، وخياطين وغيرهم ، كانوا منتظمين فيما يشبه نقابات مهنية[٣١] ، بحيث تنتقل االخبرات المهنية بالوراثة داخل الاسرة الواحدة ، وبوجه عام احتل التنظيم الكهنوتي موقعا متميزا وكذلك سائر الوظائف الدينية التي كان اصحابها خاضعين للملك .

ومن الجدير بالذكر هنا ان المجتمع الكنعاني كان به قمع طبقـي حيـث ان المـدن الكنعانيـة اضـطهدت الفلاحين واستغلتهم ، ولذلك تحالف هؤلا الفلاحين مع بني اسرائيل وساعدوهم لاحتلال كنعان [٣٢].

ويري الباحث ان هذه التقسيمات الاجتماعية تنطبق تماما علي مدينة تل بيت مرسيم كالاتي :

- تشير فقرات التوراة لوجود الملك الحـاكم للمدينـة وذلـك فـي سـفر يشـوع الاصـحاح١٢[١٣ملك دبير واحد. ملك جادر واحد].
- العثور علي المناجـل وادوات الزراعـة بالاضـافة الـي عـدد كبيـر مـن مصـانع الصـباغة وكذلك مصانع عصر الزيتون تشير لوجود طبقـة الفلاحـين ذوي الامـلاك وكـذلك الصـناع الممتهنـون ذوي الخبرة وكذلك الخياطين وغيرهم من الحرفيون حيـث يـري حتـي[٣٣] ان مدينـة تـل بيـت مرسـيم كانت تصنع للاستهلاك العام .
- تشير التماثيل واللوحات والاواني الخزفية ذات السمة المحليـة فـي التقنيـة المصـنوعة بهـا الي وجود فئة النحاتين وصناع الخزف(انظر الفصل الثالث ص ٢٢٠) .

ب-الاسرة [٣٤]:

كانت الاسرة هي النواة الحقيقية للمجتمع ، وكانت السلطة العليا هـي سـلطة الاب وان لـم تعـدم اثـارا من سلطة الام ، حيث قد مرت الاسرة الاسرائيلية بطور سيادة الام وهيمنتها عليها .

وقد تكون الاسرة مـن الرجـل ، والزوجـات والامـاء ، والابنـاء سـواء مـن الزوجـات او الامـاء ، وزوجات الابناء والاحفاد ، بالاضافة الي العبيد .

دور الاب :

يرأس الاسرة ويسمي "روش" (بمعني رأس) ، ويتمتع بسـلطات قضـائية مطلقـة ، ولـه حـق اختيـار وريثه في حرية تامة ، ويستطيع التصرف في ابنائه كما يشاء ، فله ان يبيـع ابنتـه امـة لمـن يرغـب في شرائها ، بل كان له عليهم حق الحياة او الموت ، وحق حرق زوجة ابنه المتوفي اذا زنت .

وكان الرجل "بعل" المرأة اي "سيدها" وهي تخاطبـه "سـيدي" ، والفرحـة بمولـد "الابـن" اعظـم منهـا بمولد "البنت" شأنهم في ذلك شأن بقية الساميين والعرب.

الا انه من الجدير بالذكر انه بمرور الوقت تلاشت بعـض سـلطات الاب وانتقلـت الـي العشـيرة فمـثلا لم يبقي من سلطته حق الحياة او الموت بل انه يعرض الامر علي شيوخ المدينة .

دور الام :

بالرغم من السلطة العليا للاب الا ان الام كانت لها بعض الميـزات فكانـت كلمـة الـبطن او الامـة تـدل علي فروع العشيرة ، وكان لها لفترة طويلة حق تسمية الابنـاء ، وكانـت بعـض الاوقـات تبقـي مـع اهلها وزوجها يتردد عليها من وقت لاخر ، وكان المنزل ملـك للزوجـة ، وموانـع الـزواج تـأتي مـن ناحية الام .

جـ- الزواج [٣٥]:

وفقا للاساطير الكنعانية عن تقاليد الزواج فكان المهـر ضـروريا حتـي فـي زواج المعبـودات ، وكـان نظام الدوطة منتشرا ايضا في كنعان واخذه عنهم الاسـرائيلين (انظـر اسـفل) ، وفـي بعـض الاحيـان كان الزواج في المجتمع الكنعاني يتم بدون مهـر عـن طريـق التبـادل ، فعنـدما يكـون لعـائلتين اولاد وبنات قد يزوج احد الابناء بابنة العائلة الاخري علي ان يأخذ من هـذه العائلـة بنتـا لاحـد ابنائـه دون دفع لقيمة المهر ، وكان الزواج كذلك يتم في كنعـان عـن طريـق التبنـي بمعنـي ان يشـتري الرجـل ابنة رجل حر نتيجة لظروفة الاجتماعية السـيئة بشـرط ان يتخـذها زوجـة لـه او لاحـد اقاربـه ، او لابنائه ،فاذا تم الزواج فان فان الاولاد يكونوا احـرار ومعتـرف بهـم ، وان لـم يرغـب الـزواج منهـا تصبح حرة ، وفي بعض الاحيان كان يتم الزواج لفترة معينة ، فقـد يسـمح عقـد الـزواج بـان يكـون الارتباط لاجل قصير .[٣٦]

وعن الزواج عند الاسرائيلين فكان الزواج فـي فتـرة الاسـتيطان الاسـرائيلي تحقيقـا لرغبـة الهيـة ، فضلا عن اشباع حاجة الرجل والمرأة الطبيعية ، هذا بالاضافة الـي ان الرجـل كـان يجـد فـي زوجتـه عونا له في الحقل ، وفي البيت ، ولذلك فـالزواج كـان لا يقـوم غالبـا علـي اسـاس الحـب ، لانهـم كانوا يخطبون لاطفالهم وكذلك كان الاب هو الذي يختار زوجة ابنه .

وكان الزواج فرض والعزوبية شئ منافي للدين ويدلل علي ذلك فقرات التوراة والتلمود كالاتي :

- [يجب علي كل اسرائيلي ان ينشئ بيتا] سفر التثنية ١٤ : ٢٦.
- [الامتناع عن الانجاب عمدا خطيئة كبري ، عقابهـا الهـي ، يصـل إلـي حـد المـوت] سـفر التكوين ٣٨ : ٩-١٠.
- وفقا للتلمود فان " بيت كل رجل هو امرأته ".

ومن الجدير بالذكر انه وفقا ل Levy,L.G.,[٣٧] فان ارملة الاسرائيلي الـذي مـات ولـم ينجـب ، يجـب تزويجها لاخيه الاعزب علي وجه الاجبار، فـاذا انجـب منـه فـان المولـود لا يحمـل اسـمه ، وانمـا يحمل اسم اخيه الميت ويحمل اسمه فيما يعرف بـ"زواج يبوم" .

وقد مارس الاسرائيليون كغيرهم من الشعوب تعدد الزوجات ، ومن دوافع تعدد الزوجات :

- عجز المرأة عن الوفاء باحتياجات الحياة الزوجية ، مثل العقم الذي لا يحقق التناسل .
- الرغبة في كثرة عدد الاولاد .

واخيرا فنصوص التوراة تجيز تعدد الزوجات بشرط الا تكون بين الزوجـات اختـان فـي عصـمة رجـل واحد .

الهوامش

1-Ward, W., Egypt and the East Mediterranean from Predynastic Times to the End of the Old Kingdom, *JESH*, Vol. 6, No. 1 (May, 1963),p. 2.

2-Bull, L., Egypt and Syria-Palestine, *BMMA*, 33, No. 2 (Feb., 1938), p. 39.

3-Ward, W., *Egypt and the East Mediterranean.*, p. 2.

[٤] خير نمر ياسين : *جنوبي بلاد الشام تاريخه واثاره في العصور البرونزية* ، ص ١١. ؛ علي خالد محمود الرحابنة : العلاقات السياسية والتجارية المتبادلة بين مصر وجنوبي بلاد الشام خلال العصر البرونزي المتأخر(١١٥٠-١٢٠٠ق.م) ، ص ١٠٨.

الا انه من الجدير بالذكر هنا ان الباحث يري تسمية النظام السياسي في جنوبي بلاد الشام باسم " ممالك المدن " وليس دويلات المدن وذلك لان كان علي رأس كل مدينة ملك ، وذلك وفقا لفقرات التوراة كما يلي :

[وعندما سمع ملوك الاموريين الذين في عبر الاردن غربا ، وجميع ملوك الكنعانيين الذين علي البحر ان الرب قد يبس مياه الاردن من امام بني اسرائيل حتي عبرنا .....] . سفر يشوع ٥ : ١.

وعن ممالك المدن الكنعانية انظر : فيليب حتي : تاريخ سورياولبنان وفلسطين ، ص ٨٨. ؛ مصطفي مراد الدباغ : موسوعة بلادنا فلسطين ، القسم الاول الجزء الاول ، ص ٤٢٠-٤٦١.

[٥] فيليب حتي : تاريخ سورياولبنان وفلسطين ، ص ٨٨.

[٦] مصطفي مراد الدباغ : موسوعة بلادنا فلسطين ، القسم الاول الجزء الاول ، ص ٣٩٦-٣٩٨. ،

[٧] Gray , *The Canaanites* , London , 1964 , p. 31.

[٨]علي خالد محمود الرحابنة : *العلاقات السياسية والتجارية المتبادلة بين مصر وجنوبي بلاد الشام خلال العصر البرونزي المتأخر(١١٥٠-١٢٠٠ق.م)* ، ص ١٠٩.

[٩]Anati,E., ***Palesine before the Hebrews : A History from the Earliest Arrival of Man to the Conquest of Canaan,*** New York ,1963,pp. 414-415.

[١٠]Gray , ***The Canaanites,*** p. 35.

[١١]Weinstien, ***The Egyptian Empire in Palestine : A Reassessment , BASOR***241 ,1981,PP.8-9.

[١٢]Anati,E., ***Palesine before the Hebrews : A History from the Earliest Arrival of Man to the Conquest of Canaan,*** P. 415.

[١٣] معاوية ابراهيم : *فلسطين من اقدم العصور الي القرن الرابع قبل الميلاد* ، ص ١٠٤.

[١٤]Aharoni,Y., ***The Land of the Bible : A Historical Geography,***2nd ed, Philadelphia, 1979, p. 164.

[١٥]Aharoni,Y., ***The Archaeology of the Land of Israel,*** Philadelphia , 1982, p. 120.

[١٦] مصطفي مراد الدباغ : *موسوعة بلادنا فلسطين ، القسم الاول الجزء الاول* ، ص ٥٢١-٥٢٢.

[١٧]علي خالد محمود الرحابنة : *العلاقات السياسية والتجارية المتبادلة بين مصر وجنوبي بلاد الشام خلال العصر البرونزي المتأخر(١١٥٠-١٢٠٠ق.م)* ، ص ١١٤.

[١٨]Albright,W.F., *The Amarna Letters from Palestine* in: CAH. Eds. I.E.S. Edwards; C.J. Gadd;N.G.L. Hammond and E. Sollberger, 3rd ed., II , Pt 2,Cambridge , 1975a ,pp. 104-105.

[١٩]Redford,D.B., *Egypt,Canaan,and Israel in Ancient Times* ,Princeton,1992,p. 195.

[٢٠]وتظهر تبعية هؤلاء الامراء من خلال اسلوب مخاطبتهم في رسائل تل العمارنة حيث يذكر في المقدمة ("الي سيدي الملك ، من خادمك المطيع(ثم يذكر اسمه واسم المدينة التي يحكمها) ، اركع تحت قدميك سبع مرات و....." .

معاوية ابراهيم : *فلسطين من اقدم العصور الي القرن الرابع قبل الميلاد* ، ص ١٠٣.

[٢١]Redford,D.B., *Egypt,Canaan,and Israel in Ancient Times* ,p. 195.

[٢٢]علي خالد محمود الرحابنة : *العلاقات السياسية والتجارية المتبادلة بين مصر وجنوبي بلاد الشام خلال العصر البرونزي المتأخر(١٥٥٠-١٢٠٠ق.م)* ، ص ١١٧.

[٢٣]محمد بيومي مهران : *دراسات في تاريخ الشرق الادني القديم ، اسرائيل* ، جـ٤، الاسكندرية، ١٩٧٩،ص ٢٨٩-٢٩٦.

[٢٤]سفر عاموس ٢ : ٣ ، سفر التثنية ١٧ : ٩ ، ١٢.

لقائمتي الملك امنحتب الثالث انظر: خير نمر ياسين: *جنوبي بلاد الشام في العصور البرونزية* ، ص 25 ١٤٠.

[26]ابراهيم مالمات وحييم تدمور: *العبرانيون وبني اسرائيل* ، ص ٧٤.

ومن الجدير بالذكر ان اثار اوجاريت دلت علي عادات وتقاليد الشعب الكنعاني ، الا انها لم تمدنا بمواد قانونية خاصة به ، ويعلل البعض عدم وجود تشريع خاص بكنعان الي ان البلاد قد اصطبغت بالتأثير المصري والبابلي مما يرجح ان القوانين السائدة في البلدين هي التي كان معمول بها في كنعان ، واصبحت الاعراف والعادات والتقاليد الموروثة لها قوة القانون عندهم . نقلا عن :سوزان السعيد:*المرأة في الشريعة اليهودية حقوقها وواجبتها (دراسة مقارنة مع حضارات الشرق الادني القديم)*،ط١، الجيزة ، ٢٠٠٥، ص ٥٢، ٦٦.

[٢٧] هي عاصمة مملكة موكيش الواقعة شمال غرب سورية في العصر البرونزي المتأخر ، وتقع عند مجري نهر العاصي الاسفل ، قرب مدينة انطاكية في منطقة سهل العمق ، جنوب تركيا وهي موقع تل العطشانة حاليا .انظر:

K.Aslihan Yener,Alalakh: *A late Bronze Age Capital in the Amuq Valley , Southern Turkey*,the Oriental Institute of the University of Chicago,no. 169,2011,pp. -16.

[٢٨] هي مملكة سورية قديمة ذكرتها وثائق مصر وبلاد االنهرين والحيثيين وتم الكشف عن انقاضها في تل رأس الشمرة وتتبع محافظة اللاذقية علي ساحل البحر الابيض المتوسط .

انظر: محمد بيومي مهران : *المدن الكبري في مصر والشرق الادني القديم* ، جـ٢، الشرق الادني القديم ، الاسكندرية،١٩٩٩،ص ٢٧٥.

[٢٩] فيليب حتي : تاريخ سورياولبنان وفلسطين ، ص ٩٣.

[٣٠] هي الطبقة الوسطي المجتمع البابلي ، وقد ذكرت في شريعة حمورابي وشريعة ملك "اشنونا" باسم المشكينو ، وهي جمهور الناس ، ولكن افرادها كانوا احرار ، لمزيد من التفاصيل عن طبقة

المشكينو وطبقات المجتمع البابلي انظر: طه باقر: *مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة* ، جـ١، تاريخ العراق وحضارته منذ اقدم العصور الحجرية حتي اواخر ايام الدولة البابلية الحديثة عام ٥٣٦ق.م، ط٢، بغداد،١٩٥٥،ص ٤٠٣-٤٠٥.

[38]ويري عصفور ان اصحاب الحرف كانوا يدينون بالولاء لرؤساء يمثلـون طـوائفهم المختلفـة ، ويطلق علي رئيس كل حرفة لقب "رب" . انظر: محمد ابو المحاسن عصـفور: *معـالم حضـارات الشرق الادني القديم* ، بيروت،١٩٨٧، ص ١٦٠.

[39]نقلا عن : ابراهام مالمات و حييم تدمور:*العبرانيون وبنواسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الاثرية* ، ترجمة : رشاد الشامي ، ط١، القـاهرة ٢٠٠١ ، ص ١٣١,٣٧-١٣٢.

[40] فيليب حتي : *تاريخ سورياولبنان وفلسطين* ، ص ٩٢-٢٢٥،٩٣.

[٣٤]محمد بيومي مهران : *بني اسرائيل* ، جـ٤، ص ٢٢٣ ، ٢٣٩-٢٤٥.

[٣٥]محمد بيومي مهران : *بني اسرائيل* ، جـ٤، ص ٢٤٦-٢٨٦. ولتفاصيل اكثـر عـن الـزواج والمرأة انظر: سوزان السعيد:*المرأة في الشريعة اليهودية حقوقها وواجبتها (دراسة مقارنـة مـع حضارات الشرق الادني القديم)*،ط١، الجيزة ،٢٠٠٥.

[٣٦] نقلا عن :سوزان السعيد:*المرأة في الشريعة اليهودية حقوقها وواجبتها (دراسـة مقارنـة مـع حضارات الشرق الادني القديم)*،ط١، الجيزة ، ٢٠٠٥، ص ٥٢-٥٣.؛صموئيل نوح كريمر واخرون : *اساطير العالم القديم* ، ترجمة :احمد عبد السيد يوسف ، القاهرة ، ١٩٧٤، ص ١٦٣-١٦٤.

[٣٧]Levy,L.G.,Le Famille dans l'Antiquite Israelite, Paris,1905,p. 156.